مفكرة

اغتيال النورس بين ضبية وجسر الباشا

من رحم الارض انبثق يصدح في سماء لبنان ، يعزف على أوتار البندقية اغنية (فلسطين) المسيجة بالمؤامرات والانظمة العميلة .

حاصرت الدهور وانذئاب الانعزالية ضبية ، وكان قائدا عسكريا للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في المخيم .. كان مهادنا وجادا دوما ، وبين يديه كتاب الثورة يستضيء بسطوره وهو يمتشق طريق النصر ودحر الوحوش ، عض على شفتيه ، وجمع مقاتلي الجبهة وطرح عليهم خطة عسكرية للتمركز في أطراف المخيم والتقدم باتجاه مواقع الاعداء لقض مضجعهم واحباض خططهم العدوانية ، ونفذ الرفاق ما قرر القائد .. وكما قال المخيم الذي بنى بين جثث الفلسطينيين انسيجين الممثل بها وبين أحذية الانعزاليين : لقد تلقى طهر « أدوار » ورفاقه طعنة غدر ..

قال البحر : وحضنت أمواجي جسد « أبي وسيم » المسيحي ، بحنان ، كان في طفولته يقف مدهوشا أمام الزبد والاصداف ، التي عرف بوعيه ما الذي تخبئه . فألقى ورفاقه بنادقهم على الشاطىء وتيمموا برمالي ، ثم انطلقوا بأسنتهم وفي تقاسيم وجوههم يتمركز التصميم والمرارة .

وحمل رفيقنا جرحه ، قالت زوجته : كان يعرف اللعبة ويجهد لافشالها .. كان يضمني بساعديه القويين الى أحزان ضبية ، وكان « وسيم » زهرة الحزن ..

● ●

وحلق الطائر البحري فوق المدينة . كانت بيروت ترتدي ثوب عمان وجميعنا ، وجدناها بعريها الذي يبيت ليلا أليل ..

وكان « أدوار » يغني :

بلادي المانحة العاشق طلقة في قلبه
تخط لي انذارها على دفاتر البحر ،
ابتسمت خائبا .
وذهب في حقائب المطر !.

● ●

قال ضبية : يا أبا وسيم ، سيثأرون لميلوي القذر ، ويقتالون جسر الباشا ، وتل الزعتر .

وبهدوء جاد كعادته : من ؟.

– من غاصت نيوبه في ظهرك ؟

● ●

وحاصر الاعداء أيضا تل الزعتر وجسر الباشا ، ونهض المخيمان بنسائهما ورجالهما وشيوخهما ، بالحجارة وأنواع الزينكو ، بالحلوق الظماى والامعدة الفارغة ، بالاسلحة الثقيلة والخفيفة الحمراء والبيضاء ، كان المخيمان صامدين .. كانت جثة المخيم الفلسطيني ، أذرع المقاتلين المبتورة ، أعين الاطفال المقلوعة ، نهود النساء المقطوعة أو انثائبة ، الشعر المرمد ، وأيدي الاطفال المفتوحة صرخة احتجاج في وجه العالم . كل هذا كان منظرا دراميا يدغدغ أذواق المتفرجين ، وكان سقوط جسر الباشا مسرحية تستحق التصفيق أحيانا والصفير أحيانا أخرى وذرف دموع التأثر في النهاية .

● ●

لكن أبا وسيم لم يكن متفرجا ، حاول حرق المسرح وتخريب النص وقتل المخرج ، فقاد مجموعة من مقاتلي الجبهة وفصائل وطنية وفلسطينية أخرى ، كان مصمما على فتح الطريق الى جسر الباشا ومد ذراع المخيم بدمه النقي . واقتحم ، وقبل أن يصل الدم الى الشريان الفلسطيني المهدد بالموت ، نفثت نيوب الغدر سمومها ثانية ، وكانت رصاصة الاعداء قاتلة ، في محور قصر الطيار داخل عين الرمانة !

وبين ضبية وجسر الباشا نزف دم « ادوار » مشكلا خارطة قرمزية تمتد من ضبية الى الوحدات الى الجولان وسيناء فجسر الباشا .. خارطة مضمخة بدماء الشهداء وبدبابيس أنيقة علقت في القصور الجمهورية والملكية في العواصم العربية ..

لكن فلسطين حملت جسد « ادوار نحاس » انقائد الى قلبها . وفي رسالة سرية بثها المستقبل الفلسطيني كان « وسيم » جنينا ليس في بطن زوجة رفيقنا فقط بل في رحم الوطن العربي !

– بيروت –

بقلم : هادي دانيال